بعض الأساليب العلاج الإسلامية لأخطاء التعلم الاجتماعي

أ.د/ عبدالسلام الشيخ

أ.د/ أحمد عبدالفتاح عياد

مدخل الى مشكلة الدراسة :

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : "أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر" ، ومن هذا المنطلق العظيم وإقتناعنا ببشريتنا وأن الروح من أمر ربي كان منهجنا في دراسة السلوك هو المنهج الذي يعتمد علي الظاهر أساساً قبل أن يحاول فهم السرائر ، علي أن يضع في ذهن الباحث أن ما وقر في القلب ينعكس في العمل والأداء حيث أنهما مؤشران لما في الداخل أو في القلب.

وبالرغم من قناعتنا الكاملة بأن الإسلام هو دين الفطرة وبأن حقائقه يمكن أن يدركها العقل السليم. إلا أننا لا يمكن أن نسلم بإمكان ربط حقائق دينية مطلقة بحقائق العلم النسبيه والمتغيره.

ولكن ماذا نفعل إذا وجدنا التجريب يقذف بنافذتنا إلي أحضان تلك الحقائق؟

فمثلاً حاولنا في مجال علم النفس أن ندرس تجريبياً ظواهر سلوكية في مصر أو خارج مصر. ومن خلال هذا التجريب أنتهينا إلي تكنيكات وأساليب لتعديل السلوك وعلاج المضطرب منه. وحينما تتبعنا تطبيقات هذه التكنيكات العلاجية اكتشفنا بها نواحي قصور.

وإذا ما أردنا فهم هذا القصور وتعديله والبحث عن حل له، إذا بنا نجد الحل مطروحاً في أساليب علاج إسلامية رائعة ومعجزة.

اذن فان مدخل هذه الورقة البحثية إذن ليس مدخلاً دينياً ، وإنما هو مدخل علمي تجريبي دفعتنا نتائجه التجريبية ومحاولة تطبيقها لعلاج السلوك أو تنمية أنماط سلوكية مرغوبة إلي ضرورة البحث عن تكنيكات أو أساليب علاجية جديدة.

وفي محاولة البحث الجادة عن هذه الأساليب وصعوبة العثور عليها إذ بنا نجدها مطروحة في أتم تصور لها منذ أكثر من ١٤ اربعة عشر قرناً في الإسلام العظيم.

وتبدأ هذه الورقة البحثية من خلال محاولة الباحثان معرفة الشروط الموجودة وراء مشكلات سلوكية ثلاثه.

وقد تناولنا مشكلتين منها واجرينا حول كل منهما دراسة تجريبية. بينما ظهر أن المشكلة الثالثة متشعبه وأجريت عنها تجارب ودراسات عديدة تناولت معظم جوانبها وأنتهت إلي نتائج لتفسيرها أصبحت شائعه في كل مؤلفات وكتب علم النفس المعاصر –كما سنري.

وهذه المشكلات الثلاثة هي :

١. انتشار السلوك السيكوباتي بين أبنائنا داخل وخارج المدارس ، وكذلك اضطرابات الشخصية والسلوك علاوة على تدهور التحصيل جيلاً بعد آخر. بالرغم من تقدم تكنولوجيا التعلم واتباع أحدث الأساليب التربوية وتخريج الآف المعلمين المؤهلين علمياً للقيام بالعملية التربوية . وكأن العلاقة بين انتشار السلوك المرغوب وانتشار وسائل التربية الحديثة علاقة عكسية.
٢. تدور المشكلة الثانية حول انتشار الأمراض النفسية والعقلية وسلوك الإدمان والاغتصاب والسلبية والخضوع المرضي لعرض الدنيا وزينتها.
٣. وتدور المشكلة الثالثة حول العلاقة بين الرجل والمرأة أو الشروط التي تساعد المرأة علي تحقيق ذاتها ورفع قدرتها علي الإنجاز وإحساسها بالسعادة والصحة النفسية. وبالرجوع إلي الواقع الذي نحياه حالياً نجد أنه بالرغم من تحقيق المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة ، وخروج المرأة للعمل والأختلاط نجد أن وظائف القمة تكاد تخلو

من المرأة غرباً وشرقاً ، وإنخفضت قدرتها على الإنجاز مما دعي معظم رجال الأعمال إلي تفضيل الذكور عن الإناث في كثير من الأعمال شرقاً وغرباً.

المشكلة الأولي :

تدور حول توزيع السلطة داخل الأسرة وعلاقتها بنمو السلوك السيكوباتي ، وإنخفاض التحصيل الدراسي. وقبل تناول جوهر هذه المشكلة يجب أن نضع الملاحظات التالية موضع إعتبار:

١. أن نمو السلوك السيكوباتي وإنخفاض التحصيل يرجع إلي شروط كثيرة ومتعددة واختيارنا لشروط توزيع السلطة من بين هذه الشروط لايقلل من أهمية الشروط الآخري ، وأننا أخترنا هذه الشروط فقط خضوعاً لمقتضيات التجريب الذي يتطلب تحديد المتغيرات وإجراءات معروفة للمعمل السيكولوجي ؛ كذلك لأن هناك تعارض واضح بين التصور العلماني لحل هذا الشرط والتصور الديني.

٢. أن السلطة داخل الأسرة عادة ماتتوزع بين الأب والأم. فقد يكون القرار ديمقراطياً ومشاركه بين الطرفين ، وقد يكون في يد الأب ، وقد يكون في يد الأم ، وقد يكون الأمر فوضوي.

٣. بالرجوع إلي دراسات تجريبية ومتعدده في مجال علم النفس الاجتماعي والتعلم مثل دراسات رادكه ودراسة ليبت وهوايت (R.Lappitt,R.K.White,1943) (عن : سويف ، ١٩٧٨ ، ص٣٢٤:٣٢٠) علي مجموعات من الأطفال اتضح أن القيادة الديمقراطية هي أفضل أساليب القيادة لهذه الجماعات.

٤. أمتدت نتائج هذه الدراسات إلي القول بأفضلية الأسرة الديمقراطية في تنشئة أبناء أفضل جسمانياً وسلوكياً وتحصيلياً.

ولقد تناولنا هذه المشكلة داخل أطار دراسة أعم أجريناها عام ١٩٧٩ حول مشكلات التنشئة الاجتماعية في مصر.

أجريت هذه الدراسة علي ١٢٦ تلميذاً بالصف الثالث الابتدائي بالقاهرة ومن بين أهداف هذه الدراسة محاولة التعرف علي العلاقة بين توزيع السلطة داخل الأسرة وبعض المشكلات الأسرية كالسكن والأمية ومهنة الأب من جهة وشخصية التلميذ من حيث النضج والتعاون والسلوك السيكوباتي ومستويات التحصيل داخل المدرسة من جهه آخري.

ولن نعرض لجميع نتائج هذه الدراسة وإنما نكتفي بالتحليل الاحصائي للفرض الذي تدور حوله هذه المشكلة المطروحه هنا.

سلطة مستوي تحصيل الأبناء / الأب	ممتاز وجيد جداً	جيد	متوسط	ضعيف	الإيجابية والتعاون
عدد ٣٩ مسيطر	%٤٦	%١٥,٥	%٢٣	%١٥,٥	%٦٢
عدد ٨٧ ديمقراطي	%٢٧,٥	%٢٧,٥	%٣١	%١٤	%٤٩

(عبدالسلام الشيخ ، ١٩٨٢ ، ص٣٥)

ويتضح من الجدول أن أبناء الأباء المسيطرين أصحاب القرار في أسرتهم متميزون بشكل واضح علي التحصيل إذ مايقرب من نصفهم يحصلون علي درجات جيدجداً وممتاز في مقابل ربع عينة أبناء الأباء الديمقراطين. كما ترتفع نسبه أبناء الأباء المسيطرين علي السلوك المرغوب اجتماعياً والتعاون بينما العكس لأبناء الأباء الديمقراطين.

ولكي نستبعد أثر الصدفة في تباين هذا التوزيع حسبنا كا٢ لمعرفة مدى دلاله الفروق بين أبناء العينتين ، وأتضح أن كا٢ = ٣٥ تقريباً. وهي ذات دلاله مرتفعة فوق مستوي الصدفة (٠,٠٠١). ويؤكد هذا أن الأب القوي والقيم داخل أسرته المحب لها المسئول عنها وصاحب القرار بها. هو أفضل من موقف أب ديمقراطي في تنمية وتكوين سلوك جيد مرغوب تحصيلياً وإجتماعياً.

ولقد تأكدت هذه النتيجة في دراسات أجنبية عديده أنتهت إلي أنه كلما كانت شخصية الأب قوية وأقرب إلي السيطرة مع الاهتمام بالمنزل ورعاية الأولاد كلما كان لذلك أثر طيباً وإيجابياً في التنشئة الاجتماعية للأطفال (جودكونجر وآخرون ، ١٩٧٠ ، ص٣٤٤)

ولقد أكدت دراسات عديدة أهمية وجود الأب وسيطرته داخل الأسرة ، وغياب الأب الواقعي أوغياب سيطرته ودوره في داخل منزله – مثلماً في حاله سيطره الأم – إنما يسهم في تنمية اضطرابات سلوكية وسلوك سيكوباتي سواء عند البنات أو الأولاد. ومن هذه الدراسات (Hetherington;1972, Hoffman;1971, Bnodeick,1965) ويؤكد جيرسيلد وآخرون أن أفضل أساليب تنشئة الأولاد والبنات ليس هو أسلوب المشاركة في إصدار القرار بل هو الأسلوب الذي يسمح فيه الأب لأبنائه المراهقين بإبداء الرأي والمشاركة في تكوين القرار، علي أن يكون إصدار القرار من سلطة الأب وحده.(Tennilol etal,1978,P320)

٥. معني هذا أن الأسرة التي لها أب مسيطر ومحب لها وصاحب القرار فيها. تمثل بيئه وموقفاً مناسباً لتنمية أنماط سلوكية مرغوبة وتحاشي ظهور اضطرابات سلوكية أو انحرافات شخصية أو سلوك سيكوباتي. بل ويساعد هذا الموقف الأسري علي

رفع الكفاءة التحصيلية للطفل ولاشك أن التنظيم الأسلامي للأسرة يؤكد هذا الشرط مع شروط آخري معروفة تتكامل سوياً لتكون لنا مسلم المستقبل.

وسواء خرجت الأم للعمل أو مكثت سكناً لزوجها وأولادها بالمنزل فلقد أنتهت الدراسات إلي أن تعليمها يرفع لا من مستوي تحصيل الأبناء فقط بل وكذلك من قدراتهم العقلية وفي إحدي الدراسات إتضح أن معامل الارتباط بين المستوي التعليمي للأم وذكاء البنات (٠,٦٦) وبينه وبين ذكاء الأولاد (٣٩%).

٦. والسؤال الآن : هل صورة الأب القيم وصاحب القرار في أسرته أقرب إلي التصور الذي عرضه الأسلام من أكثر من ١٤ قرناً ، أم إلي الصورة التي يعرضها بعض المتحدثين من مفكري هذا الزمان والذين يصارعون من أجل المساواة بين الرجل والمرأه صراعاً أقرب إلي صراع دون

هذا ويجب أن نتذكر أن طلب العلم فريضة إسلامية على كل مسلم ومسلمه لو في الصين ، بغض النظر عما إذا كانت المرأه خارج أو داخل المنزل (عاملة أو غير عاملة).

المشكلة الثانية :

أمراض واضطرابات السلوك والعلاج الإسلامي لها

تنحصر هذه الأمراض في اضطرابات العصاب وأمراض الذهان وسلوك الإدمان علي المخدرات والمنبهات والسلوك اللااجتماعي كالأجرام والسرقه .. الخ.

ولقد حاول علم النفس فهم الشروط الموجودة وراء هذه الاضطرابات منذ بداية هذا القرن كما حاول وضع أساليب علاجية لها. وأنتهي علم النفس إلي محاولات فهم هذه الاضطرابات وأرجعتها إما إلي إيحاء خاطئ وعمليات كبت ورمزية (Annold,Benntien : in:B.Wohian,1965,p116)

أو إلـــــي عمليـــــات تعلـــــم خـــــاطئ أو نمذجـــــه خاطئـــــه (Kaluh.H:In:Wolnai,1965,P130)

ولقد حاول كل مدخل من هذين المدخلين وضع إجراءات وأساليب معينة لتعديل السلوك من سلوك مرضي أو منحرف غير مرغوب إلي سلوك سوي مرغوب ، خاصه العصاب والذهان أو إنحرافات الشخصية كالسرقة والرياء والإدمان ، وعامة عدم القدرة علي التحكم في إشباع الحاجات والشهوات.

ويركز التحليل النفسي في علاجه لهذه الاضطرابات علي ما أسماه بإعادة بناء الآنا عن طريق مساعدته علي إستبصار ذاته والتعرف علي الميكانيزمات المسئوله عن مرضه .. بينما يركز المدخل السلوكي علي إعاده تعلم الانسان وتعليمه كيف يؤكد ذاته وكيف يضبطها ويتحكم في سلوكه.

وبالرغم من تقدم هذه التكنيكات فإن فاعليتها مازالت محدودة والمؤشرات الواقعية تؤكد لنا زيادة هذه الاضطرابات ، وفي نفس الوقت إنخفاض عائد العلاج.

ويدرك إطباء النفس والاخصائيون النفسانيون مدي الصعوبة في علاج حاله عصابيه أو ذهانية أو حاله إدمان ، ومن المعروف عالمياً أن من يخرجون من مستشفيات الصحة النفسية والعقلية بعد علاجهم يعود (٨٠%) منهم مره آخري طلباً للعلاج داخل المستشفيات مما يؤكد صعوبة العلاج ووجود نقص في أساليب العلاج القائمه حالياً.

وإذا كنا نشعر بمدي المعاناه والمجهود الذي نبذله لمجرد علاج حاله إدمان واحده أو تعديل سلوك سيكوباتي ، فإن إقلاع عرب الجاهلين الأولي عن عادات رديئة ومنها الإدمان بشكل نهائي وحاسم بعدما تحولوا مباشره من الكفر إلي الإسلام ،

واقتران الإقلاع عن كل عادات الجاهلية كالإدمان والاجرام عند الصحابه (رضوان الله عليهم) بالأسلام إنما يمثل موقفاً معجزاً بكل المقاييس.

وفي مؤتمر تشرفت بالاشتراك فيه عن المخدرات نظمته جامعة طنطا عام ١٩٨٤ أوضح فيه أحد الزملاء المشتركين إمكانية الإقلاع عن الإدمان وإشار في ذلك إلي مثال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعد اسلامه وإلي إنعدام المخدرات تماماً في الصين بعد تطبيق عقوبة الإعدام علي كل من له صله بتناولها.

وبإعتبارنا متخصصين في علم النفس دفعنا الفضول إلي التوقف عند هذين المثالين محاولاً أن نستخلص الشروط الممكن أن تمنع بها شرب المخدرات حيث وجدت أن السبب وراء توقف الإدمان في الصين واضح وميسر تماماً أنه مجرد الحكم بالإعدام علي كل من له صله بها ، غير أن إقلاع عمر بن الخطاب وجميع أوائل الصحابه (رضوان الله عليهم) عن عادات الإدمان وجميع عادات السلوك السيئة إنما يرجع مباشرة إلي التحول للإسلام. والحقيقة أن تحول هؤلاء إلي الإسلام لم يكن تحولاً بسيطاً تحت شرط بسيط بل هو تحول كامل لبناء الشخصية تحت شروط عديدة تندرج تحت مفهوم الإسلام ذلك أن الإسلام ليس مجرد التلفظ بالشهادتين بل هو يدخل علي حياة الانسان ليحدث بها تغييراً شاملاً يشمل علاقاته بالبيئة وبالآخرين وبأسرته وبتربيه أولاده بمسئوليته الكاملة نحو نفسه وأهله والمسلمين والانسان عامه.

ولكن أي هذه التغيرات يمكن أن نتلمسها مباشرة وراء هذه القدرة المعجزه والتي ساعدت المدمنين في لحظة حاسمة أن يقلعوا بلا عودة حتي لو أنفردوا بأنفسهم. بل وحتي لو أغراهم الآخرون ، بينما ماذا يكون الحال لو تصورنا رفع عقوبة

الإعدام في الصين؟ أو لو أستمرت عقوبة الإعدام وتحول هذا الكبت إلي سلوك شاذ آخر.

وحقيقه لقد طرحت هذا السؤال في المؤتمر السابق ثم حاولت الاجابه عليه ومنذ ذلك التاريخ وأنا أجمع معلومات وملاحظات علها تساعدني في الوصول إلي إجابة شافية.

ولقد أنتهيت عامة إلي أن ضعف الذات بمعني عدم قدرة الذات علي التحكم في وظائفها وفي رغباتها أو شهواتها إنما تمثل الأرضية الأولي لأي إضطراب سلوكي.

ضعف الذات والقابلية للانحراف:

١. اهتم العلاج النفسي الكلاسيكي بالبيئة التي يحيا بها المريض حيث يرجع معظم أسباب المرض النفسي إليها. وبالرغم من أن علم النفس المعاصر يسلم بدور البيئه في المرض النفسي إلا أنه يسلم بأن العلاج يجب أن يركز علي العميل نفسه ، وذلك أن الشخصية السويه تستطيع أن تمر بسلام من خلال انعصابات بيئية مضطربه.

بينما تتصف الذات الضعيفة بالقابلية المرتفعة للايحاء ومن السهل أن تخضع لسيطرة الآخرين وأن تصدر ارجاعات مرضية سريعة لأي موقف انعصاب وتفقد السيطرة علي سلوكها ليصبح هذا السلوك خاضعاً – لا لصاحبه – بقدر ماهو خاضع لمواقف انعصابات أو محفزات خارج الذات مما ييسر إنحراف وإضطراب الذات.

ومن المعروف إن القابلية المرتفعة للإيحاء أحد الشروط الأساسية لحدوث ما يسمي بالتنويم المغناطيسي ، مما قد يعرض هذه الشخصية عادة لمواقف تنويم سطحية

وخطيرة حيث قد لا نشعر بما حدث. (Sananon . etal,1987 ; Davidall,1981,P225)

٢. والتنويم المغناطيسي يعني شل إرادة الشخص ومنعه من التحكم في سلوكه وإخضاع هذا السلوك لقوي خارج الذات عاده مانسيئ توجيهها . وتذكر البحوث المختلفة أن المنوم أو الفاحص إذا ما أوصي للنائم بإيحاء ما فأنه عندما يستيقظ لا يتذكر شيئاً من جلسه التنويم . إلا أنه يجد نفسه مدفوعاً بشكل لا إرادي تقريباً إلي عمل أشياء قد لايرضي هو عنها، ولكنها تمثل تنفيذ إيحاءات الفاحص له أثناء جلسه التنويم.

والحقيقة التي قد لا يعرفها البعض أن التنويم قد يتم لأي شخص بدون فاحص أو شخص آخر يتعمد تنويمه ففي موقف هادي وراحة جسدية واسترخاء جسدي وذهني بعد فترة إجهاد نفسي وجسدي مباشر وضوء خافت وموسيقي رتيبه نمطية عادة ما يحدث تنويم سطحي تتم فيه الايحاءات بشكل تلقائي وتدفع صاحبها إلي تنفيذها بدون مبرر موضوعي لها.

٣. الخلوه بين الرجل والمرأه فمثل عادة مرحلة من مراحل التنويم تكون فيه الايحاءات قوية بين الطرفين خاصة بعد موقف إجهاد جسماني أو انفعالي أو عقلي أو حتي مجرد تشتت الفكر حول رغبة محرمة بين الطرفين وخوف من نتائج إشباعها. أنه موقف إجهاد يؤدي إلي هذه الخلوه والهدوء إلي عملية تنويم متبادلة حيث يرتفع قابلية كل من الطرفين للإيحاء . والإيحاء هنا كما هو معروف في التنويم يكون إنتقائياً بمعني أنه ينتقي من بين جميع المثيرات المحيطة صوت أو صورة الشخص الذي قام بتنويمة فقط دون غيره ، فكل منهما لا يستقبل إلا إيحاءات شريكة وعادة ماتكون مركزة حول الرغبة التي جمعت الطرفين. وحتي إذا لم يحدث إتصال

جنسي غير مشروع. فقد يحدث مالايقل خطراً عن ذلك وهو مايسمي في عصرنا بالحب أو العشق ، تحت جلسة التنويم تكون إراده كليهما شبه مشلوله وقد ينتهي الأمر إلي زيجات عادة ماتفشل ويكون الأطفال والمجتمع ضحايا.

٤. من المعروف أن هناك فروقاً فردية في قابلية الأفراد للتنويم ، والقابلية المرتفعة للإيحاء تمثل أحد مؤشرات ضعف الذات والقابلية للتنويم وهذا ييسر من إنصياع الفرد لأي إيحاء خارجي تقريباً خاصه إذا كان ضغط زملاء أو شله لعب ، كما في حاله الضغط لشرب مخدرات أو منبهات أو الاتيان بسلوك لاأخلاقي أو لا ديني. وعادة مايكون هذا مدخلاً مباشراً للاجرام أو للمرض النفسي أو العقلي. (عبدالسلام الشيخ ، ١٩٨٥ ، ص٧٣ ؛ عبدالسلام الشيخ ، ١٩٨٦ ، ص٣٣)

لاجدال إذن أن ضعف الذات – بمعني تلك التي لاتستطيع أن تتحكم في وظائفها – هو السبب الأساسي وراء كل هذه الاضطرابات والانحرافات.

أهم أساليب العلاج السلوكية :

كما سبق أن أشرنا يقوم العلاج أساساً علي تقويه الذات وزيادة استبصارها بالمواقف المحيطة بها ، ومن أهم هذه التكنيكات:

١. تكنيك الضبط الذاتي :

وهذا الأسلوب مثل أي أسلوب علاجي آخر يسهم في تقوية الذات ويعني ببساطة تعليم المريض التحكم في استجاباته بل وفي بعض وظائفه الفسيولوجية كضغط الدم والتنفس ولقد بدأ أستخدام هذا التكنيك كمنهج للعلاج منذ فترة قريبة جداً علي يد (Bandora,1971;Kafemn)

بل وامتد هذا التكنيك إلي تعليم المريض أن يتحكم في وظائفه الجسمانية كنبض القلب والتنفس وحركات المعدة ، ويستخدم في ذلك أجهزة تغذية رجعية حيوية مثل

(GSR , EEG , EMG) ومقاييس ضغط الدم ونبضات القلب ... الخ وهذا التكنيك اقرب إلي مايسمي بجهاد النفس.

٢. تكنيك الأسوة أو النمذجة:

وهو من أهم تكنيكات العلاج الحديثة وضع أساسه باندورا أشهر اسم في العلاج السلوكي المعاصر وبدأ استخدامه عام ١٩٦٠ لعلاج المخاوف المرضية. ثم تطور هذا التكنيك عام ١٩٧١ علي يد أصبح يستخدم أسلوب الأسوة لتعلم أي سلوك مرغوب وكف أي سلوك غير مرغوب تحت مواقف تعلم مصممه لذلك وقد أستخدم هذا الأسلوب من خلال نماذج حيه واقعية وأخري تخيليه كما في حاله أستخدام الأفلام. وأتضح أن الاثنين لهما أثر علاجي جيد .غير أن النمذجة الحية المباشرة كان أثرها أنجح وأكثر حسماً (Niof,P335) وعامه فالاسوه يمكن أن نراها أمامنا وإذا أفتقدناها يمكن تحت شروط تعلم معينة تخيلها وتعديل سلوكنا في ضوء تصورنالها.

٣. يقرر بيتر ، وناثان ، وجاكسون أن مرضي الشيزوفرينيا يتسمون بضعف الذات ، حيث تكون الشخصية هشه وضعيفه وأفضل تكنيك لعلاج هؤلاء هو التدريب علي تقويه الذات (Wlid,P546).

ويتأكد أهمية تقوية الذات وبناء الانا ليس فقط عند السلوكيين أو التحليلين بل عند مناحي آخري عديدة مثل أتورانك فيما يسميه بعلاج أو تنمية الاراده.: (Throught Wolman , 1965,P1043) وعامه فقد أتضح :

أ- أن الذات القوية : التي تحكم في رغباتها ودوافعها ولاتعتمد على الآخرين ، تقوم الأمراض النفسية وإنحرافات السلوك.

ب- أن كل دراسات علم النفس خاصة الارتقائي وعلم نفس الطفل أو النمو النفسي كل هذه الدراسات تؤكد أن أفضل أسلوب لتنشئة ذات قوية هو أن نعلم أطفالنا الاستقلالية وتحمل المسئولية بما يتلاءم مع عمرهم الزمني.

معني هذا أن الذات القوية هي القادرة علي كبح جماح شهواتها والتحكم في سلوكها والقادرة على تحمل المسئولية وبقدر تحملها للمسئولية بقدر ماتكون قوية وبقدر قوتها بقدر ماتكون قادرة على مواجهه الانعصابات ومقاومة إغراءات الانحرافات . ثم أن أهم أسلوب لتكوين هذه الذات هو أن ننشئ أطفالنا علي معايير تربوية معروفة من أهمها الاستقلالية في العمل والحكم أو اتخاذ القرار ومقاومة ضغوط الاخرين ورفع الخوف عن الذات ، وعدم الانصياع الاعمي والسلبي لاي جهه ضغط خارج الذات ومع كل هذا عليها أن تتعلم كيف تتحمل مسئوليه نحو ذاتها ونحو الاخرين ومن الواضح أن هذه الخصائص التي تهدف إلي خلق ذات قوية متضمنه في خصائص المسلم كما رسمها الإسلام. أليس المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف. ألم يقل سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) " لايمنعن رجلاً هيبه الناس أن يقول بحق إذا علمه". وعنه (صلي الله عليه وسلم) أنه قال "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته....." نعم كلنا رعاه بدأ من المرأه إلي الامام والعبد إلي الرجل تعلمنا جميعاً مسئوليه حددها الإسلام بل كلنا سنسأل عن عمرنا وعلمنا ومالنا فيما أنفقناه. وسنسأل عما أذا كنا قد أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر وماإذا كنا جاهداً في سبيل الله أم لا ... وعامه فأن تحمل المسلم المسئولية أمر مفصل وواضح في التشريع الإسلامي حتي لو كان هذا المسلم عبداً أو طفلاً أو امرأه. وتراث الإسلام ملئ بما يؤكد أن قوه الذات

تكمن في التحكم في السلوك فالشديد ليس بالقوة وانما الشديد من يمتلك نفسه عند الغضب.

أنه يؤكد علي تحمل المسئولية وهي مسئولية كبيرة علي كل مسلم ومسلمه تبدأ ممن يعول داخل بيته إلي الانسان في كل مكان ثم يدعونا الإسلام إلي عدم الانصياع للأخرين في الشر أو الخير. بل علينا بدعوة الحق والخير في كل الظروف. وبنفس القوة يدعونا إلي مجاهده النفس وكظم الغيظ وأن نملك أنفسنا عند الغضب أنه يعلمنا كيف نتحكم في سلوكنا حتي عند الانفعالات التي تبدوا للعلم الظاهر أنها لا ارادية.

والسؤال هنا : هل هناك تصور أفضل من هذا لتنشئة أفراد ذوي ذوات وشخصيات قوية مقاومه الاضطراب وانحرافات السلوك؟

الا أن هذه المسئولية والتي دعت عمر بن الخطاب إلي مقولته التي اهتز لها التاريخ ومازال "والله لو تعثرت بغله في العراق لخشيت أن يسأل الله عنها عمرلما لم تعيد لها الطريق" أي نفس تستطيع أن تتحمل هذه المسئولية وتستشعرها وتحياها فهي آيضا تستطيع أن تعدل من كل سلوكها وعاداتها حتي لو كانت عادة كالادمان مثل الإسلام ؟ أنها دافعية تعلمها عمر في جامعة محمد (صلي الله عليه وسلم) فسيطرت علي حياه عمر واعطته قدره معجزه أن يطفئ كل دافع أو سلوك يتعارض معها حتي لو كان حب الابن أو عادة الأدمان.

علموا الشباب إذن الدافعية للانجاز وتحمل المسئولية كما رسمها الإسلام وأشرنا إليها سابقاً. ويري ابراهام ماسلو أن هذه الدافعية توجد على قمة هرم الدافعية وتؤدي مباشرة إلي تأكيد الذات ومن هنا ستكون النتائج رائعه ويكفي أن نعرف أن كل الدراسات التي أجريت في مجال الدافعية أكدت أن ارتفاع هذا الدافع عند

غالبية أعضاء مجتمع ما يسبق مباشرة الازدهار العلمي والثقافي والحضاري والاقتصادي لهذا المجتمع ، بينما انخفاضه يسبق مباشرة تدهور هذا المجتمع حضارياً وثقافياً واقتصادياً . ومن هذه الدراسات دراسه انكنسون وماكليلاند التي أجراها علي المجتمع الإنجليزي والامريكي وحوالي ٤٠ دوله منها تركيا واليابان وإسرائيل والعراق وسوريا ولبنان وإيطاليا والأرجنتين في فترات زمنية متباعده ١٩٢٠ – ١٩٢٩ – ١٩٤٦ – ١٩٥٥.

وأياكم أن يختلط عليكم الأمر قبل لابد أن نخلق الشروط التي تعلمهم مسئوليه خارج نطاق ذواتهم نجدنا في غفله منا نعلمهم أن يركزوا هذه المسئولية حول حاجاتهم المباشرة . وتتمركز دوافعهم حول وسائل اشباع هذه الحاجات كالزواج والسكن والاكل وشراء أدوات الرفاهية التي لا تخرج عن اشباعات متطرفة لحاجات أولية هنا الكارثه المروعه أو التدهور الحتمي.

المشكلة الثالثة :

تدور حول أفضل الشروط التي تيسر للمرأه الإنجاز والنجاح في العمل وتأكيد ذاتها وقد فرضت هذه المشكله نفسها علي ذهن الباحث من خلال مراجعته لبحوث سابقة عديدة في أمريكا وغرب أوربا.

ومن المعروف أن الإسلام وضع تشريعات حددت حقوق وواجبات كل من المرأه والرجل تفصيلاً ساوي بينهما حينما يتطلب العدل ذلك وكما في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحساب "من عمل صالحاً من ذكر أو أنثي وهو مؤمن فلنحيينه حياه طيبة " (النحل ٩٧) كما أعطي المرأه حريتها في اختيار زوجها بل والنظر اليه. كما سوي بين دم الرجل ودم المرأه وكما حافظ علي شخصية الرجل الراشد حافظ علي شخصية المرأه الراشده وكفل لها جميع الحقوق المدنيه المتصلة

بأملاكها فيها أن تدير شئونها بنفسها من مال وأملاك وتجارة وزراعه بل ولها حرية التصرف في مهرها ولها أن تعقد عامه العقود المدنية من بيع وشراء وإيجار واستئجار وهبه ووصيه.

فروف بينهما حينما وجبت التفرقة عدم الاختلاط أو الخلوه وطاعه الزوج كما ألزم الزوج آيضا بسلوكيات كالانفاق واحترام الزوجة بل المرأه عامه ، عن الترمذي أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال "ما أكرم هنا إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم".

أدي هذا بالبعض إلي القول بأن الإسلام لم يساوي بين المرأه والرجل ونادوا بضرورة المساواه مثل الرجل تماماً. وحققوه في تشريعات الغرب خاصه والإسلام برئ من هذه المساواة العمياء أو المطلقة وبالطبع هي مساواة مستحيلة الا في نصوص كتبوها في قوانينهم إذا ما صادقت الواقع – كانت أشبه بمن يساوي بين الأعم والأبكم – حينما يوزع عصا علي الفئتين مثلاً.

ورغم المساواة بين الرجل والمرأه في الغرب فأن وظائف القمة في الغرب مازالت تخلو تقريباً من النساء ، كما أن كثير من البحوث التجريبية أكدت مايسمي بالدافع لتحاشي النجاح أو للخوف من النجاح عند نساء الغرب ومن المثير للدهشه أن خوف المرأه من النجاح في الغرب يزداد في المواقع التي بها اختلاط وتنافس بين المرأه والرجل علي مركز القمه ومن هذه الدراسات دراسة هورن (Horen,1970) علي عينات من الاناث والذكور أتضح منها أن ٦٢% من استجابات الاناث تتضمن دافعاً قوياً لتحاشي النجاح في مقابل ٩% فقط من الذكور (عبدالسلام الشيخ ، ١٩٨٥،ص٣٢١)

ودراسة براند لاف اتضح منها أن ٧٠% من الاناث لديهن دافعا مرتفعاً لتحاشي النجاح (Breedlove & Cuelli,1974) وظهر أن المرأه التي تدخل في مجالات

تتنافس فيها مع الذكور مثل الطب عدوانية ومنبوذة من المجتمع حتي مجتمع الاناث ولم يظهر هذا الدافع عند الذكور

وتأكد وجود هذا الدافع عند المرأه في بحوث آخري عديدة منها دراسة () ودراسة وبل وزيكرمان ١٩٧٥

كما تأكد وجود هذا الدافع آيضا عند المرأه في دراسة (Feather & Semon,1975) ولكن هل هذا الدافع فطري أو غير متعلم عند المرأه ، أم أنه يرجع إلي معايير الجماعه؟ أوضحت الدراسات أنه ليس فطري عند المرأه ، بل يرجع إلي معايير الجماعة. وفي هذه الدراسات دراسة (Herry & Deauk,1974) والذي أكد فيه الباحثان أن ارتفاع هذا الدافع عند المرأه الغربية يرجع إلي معايير الجماعة (Through: Menton . et.al , 1980 , P289)

وقد تأكد ذلك في دراسة مارجريت من سنه ١٩٧٠ حيث أوضحت أن هذا الدافع يرتفع عند الأقليات ذكوراً أو إناثاً في المجتمع الأمريكي. وفسرت ميد هذا بأنه لايرتبط بمعايير الجنس بقدر مايرتبط بمعايير الجماعة والاحباطات الاجتماعية.

والسؤال التالي هو : كيف يظهر هذا الدافع داخل مجتمع يساوي بين الرجل والمرأه تماماً مثل المجتمع الغربي؟

الإجابة تكمن في هذه المساواة ، أنها مساواة مفروضة علي وقائع غير متساويه بطبيعتها. وكما سبق أن أشرنا (شبه المساواه المطلقة بين الأعمي والأبكم). وقد تأكد هذا في دراسات عديدة أجريت في الغرب منها.

دراسة ونكل عام ١٩٧٤ علي إناث (طالبات) في مدارس مشتركة وعينة طالبات متجانسة مع العينة الأولي في مدارس متجانسة – غير مشتركة. أرتفع هذا الدافع عند طالبات المدارس المشتركة. بينما كان ضعيفاً جداً عند طالبات المدارس

المتجانسة. ذلك أن موقف التنافس في المدارس المشتركة يكون مرتفعاً مما يدفع بالإناث إلي تحاشيه.. ويري جيرسيلد أن نسبه عالية من الإناث الناجحات في أعمالهن تخرجن من مدارس غير مشتركة ، ففي تلك المدارس تعمل الانثى وتنافس علي التحصيل والتفوق بدون خوف من فقدان خصائصها الأنثوية. (عبدالسلام الشيخ ، ١٩٨٥ ، ص٢٢٢)

وتأكد صراع الانثي هذا وخوفها من النجاح في مجال العمل والمهنه وإنعكس هذا الصراع في عشرات من البحوث الأجنبية التي أكدت علي وجود صراع عند الانثي بين دورها كزوجة وأم ودورها كأمرأه عاملة. بما يرفع لديها الخوف أو تحاشي النجاح.

وإذا كانت المساواه في الغرب أرهقت المرأه وزادت خوفها من النجاح وخلت مراكز القمه منها. فماذا يكون الوضع في مجتمعنا؟ خاصة داخل نطاق إناث جامعيات تري أنهن يجاهدن من أجل المساواه بمفهومها الغربي تقريباً؟

كان السؤال السابق هو المشكلة التي حاول الباحث مع الباحثة إلهام خليل – بقسم علم النفس بكلية الآداب جامعة طنطا – أن يجيب عليه من خلال الدراسة التالية.

استخدمنا في هذه الدراسة لقياس الدافع للنجاح أو تحاشيه نفس التكنيك الذي أستخدمته دراسات الغرب خاصه تكنيك هورنر حيث كان أكثر هذه التكنيكات شيوعاً ، وفيه قدمنا عبارة "حصلت فاطمة علي ليسانس آداب بتقدير عام جيد" للإناث ، وعبارة " حصل أحمد علي ليسانس آداب بتقدير عام جيد" للذكور ويطلب من العينتين كتابه قصه تبدأ بهذه العبارة حيث لا تقل عن ٢٠ سطراً ولا تزيد عن صفحتين.

ولكي نعرف ما إذا كان هذا الدافع يرتبط بمتغيرات الشخصية وليس بالجنس طبقنا علي عينة الذكور والإناث اختبار إيزنك (EPI) لقياس بعدي العصابية والانطوائية وقياس الكذب.

طبقت جميع المقاييس جمعيا مره علي الإناث وآخري علي الذكور ، وكانت العينة (٢٥) انثي و (٢٥) ذكراً من أقسام مختلفة من كلية الآداب جامعة طنطا غير قسم علم النفس.

التصحيح :

حللت النص طبقاً لإجراءات تحليل المضمون ، وركزنا فيه علي:

العمل ومؤهلاته – الدراسات العليا والاستمرار فيها – الزواج – والانجاب ، ثم المعوقات التي يذكرها الأفراد والتي تحول دون تحقيق دافعيتهم للإنجاز سواء في العمل أو الدراسات العليا.

بالنسبه لمقياس (EPI) استخدمنا مفتاح التصحيح الخاص به.

التحليل الاحصائي :

استخدمنا تحليل التباين ، وكا٢ ، ومعادلة ويلكوكسون ، واختبار(ت).

أهم النتائج :

١. لم تظهر أيه علاقه داله بين متغيرات الشخصية علي (EPI) والدافع لتحاشي النجاح أو للانجاز عند الاناث.
٢. نفس الشئ في عينة الذكور ماعدا ظهور علاقه داله تحت مستوي (٠,٠١) بين الدافع لتحاشي النجاح (الدافع للزواج والانجاب) والكذب.

بمعني كلما زاد تقرير الذكر بميله إلي الزواج والانجاب زادت درجته علي مقياس الكذب ، أي أن تقرير الأفراد بالميل المرتفع للزواج والانجاب لايعبر عن ميلاً

حقيقياً بقدر ماهو نوع من الكذب علي النفس أة علي الجماعة مجاراه لتلك الجماعة التي تقرر فيها أن الزواج نصف الدين وتعزز الانجاب دينياً واجتماعياً.

ومعني هذا أيضا أن هناك تيار ثقافي يأتي الينا من الخارج – خاصه الغرب – يشكك في قيمة أساسية من قيمنا ، أنعكست أثاره فعلاً في استجابات شبابنا برفض الزواج ضمنياً صرحوا به لفظياً في تلك المرحلة ، بينما لم تتأثر الاناث به.

ويتطلب هذا منا أن نتداول هذه القيمة – الزواج والانجاب – بالحماية والرعاية ، وإلا فإن التيارات المضاده والاتيه إلينا من الخارج سوف تطفئها بشكل علمي خطير تتوافر له عمليات النمذجة والتعزيز والمعلومات الموجهه.

٣. بإستخدام معادلو ويلكوكسون أتضح وجود فروق داله بين دافعية الأفراد إناثاً وذكوراً للزواج والإنجاب من جهه ، ودافعيتهم للعمل والدراسة من جهه آخري.

٤. باستخدام (T.test) اختبار (ت) لم يظهر فروق داله بين الإناث والذكور علي الدافع إلي النجاح. وهو معارض لما أنتهت إليه البحوث الأجنبية علي عينات من الغرب.

وحينما استخدمنا تحليل التباين اتضح وجود فروق لها دلاله بين تباين درجات الإناث ودرجات الذكور علي هذا الدافع. كان تباين الإناث أكثر ارتفاعاً بشكل واضح ، وهذا يعني أن هناك تجانساً في الدافع للانجاز عند الذكور ، بينما التباين المرتفع علي هذا الدافع عند الإناث يعني أن الثقافه الغربية – التي خفضت هذا الدافع في الغرب – والواردة إلينا من الخارج تأثر هذا الدافع جيداً بها عند بعض الإناث المصريات فانخفض الدافع للإنجاز لديهن. بينما بقي هذا الدافع عادياً عند الإناث اللاتي لم يخضعن جيداً لثقافه أجنبية غير ثقافتهن المصرية التي استمدت معاييرها الاصيله الخاصه بإتقان العمل ومجاهده الحياه من معايير وتشريعات

إسلامية. وبالطبع إذا أستمر التيار الغربي متدفقاً بدون مراجعة ، فإن النتيجة بالنسبه للمرأه المصرية معروفه إما إنخفاض الدافع للعمل والانجاز ، وإما التشبه بدور الرجل وإلغاء دور المرأه ، وهذا ليس مجرد إستنتاج بل أن بعض علماء الغرب تبرعوا إلي ضروره إلغاء الرجل وإلغاء المرأه. مثل الباحثة الأمريكية بم (Bem) التي دعت إلي ضرورة إحلال صوره جديدة – ليست هي امرأه في مكنونها ولا رجلاً في مكنونه – بل هي صورة تجمع بين الاثنين في مركب جديد تطلق عليه بم "المركب الاندروجيني" وتدعي الباحثة أنه الدليل علي وجود درجة عالية من الصحة النفسية. وتقرر الباحثة أن هذا النمط اللارجل واللاإمرأه موجود بالفعل ويتزايد يوماً بعد يوم وهو الذي سيحدد شكل "الانسان الجديد" الذي يحسن التكيف. (عن : محمد سلامه آدم ، ١٩٨٢ ، ص٨٦)

٥. من المثير للدهشه ارتفاع دافعية الإناث المصريات علي الزواج والإنجاب وكذلك علي العمل والدراسة – وهو لك يظهر في الدراسات علي عينات غربية – حيث اعتبر الزواج والإنجاب معوقات أمام العمل والدراسة. ومن المحتمل أن المعايير الاجتماعية لدينا تحفز الإنثي والذكر وتدفعهم إلي هذه الأهداف بدون مفارقه سواء الزواج أو الإنجاب أو العلم أو العمل وجميعنا نعرف أن الإسلام دعي لها جميعاً بل هي من إتمام وفروض الإسلام.

٦. من النتائج الأخرى الهامة أن المعوقات الاجتماعية عند الإناث أمام تقدمهن في العمل (٧٠%) في مقابل (٣٣%) عند الذكور فقط ، وفي الدراسة (٧٣%) عند الإناث في مقابل (٤٠%) فقط عند الذكور بينما ينعكس الوضع في المعوقات الاقتصادية – حيث تنخفض هذه المعوقات تماماً عند الإناث بينما ترتفع عند الذكور ففي مجال العمل نجد المعوقات الاقتصادية عند الإناث (٣٠%) في مقابل

(٦٧%) للذكور ، وفي مجال الدراسة (٢٧%) عند الإناث في مقابل (٦٠%) عند الذكور.

ذلك أن الإسلام حل معوقات عديده أمام المرأه المسلمه وعلي رأسها المعوقات الاقتصادية ففتح أمامها الطريق للإنجاز والعمل وطلب العمل وتأكيد الذات في بيتها أو عملها.

بينما ارتفاع المعوقات الاجتماعية لديها فربما يرجع إلي الدور الذي تضع المرأه نفسها فيه خارج منولها بإعتبارها أنثي مرغوبة من الرجل وتعزز هذا الدور وسائل الإعلام ونداءات الجنس من المرأه في الإعلانات والسينما وغيرها– والتيارات المدعمه لها بالغرب – زاد هذا من العوائق الاجتماعية التي ترفض فيها المرأه كمنافس بل وكزميل ختي غير منافس للرجل إلا أن نراها أنثي فقط بل أن نراها بشراً له ظروف معينة وحقوق وواجبات تتناسب مع ظروفه.

ما ننتهي إليه أذن وعلاوه علي ماعرضناه خلال مناقشتنا السابقة هو أن الحل الإسلامي هو الوحيد الذي يساعد المرأه علي تحقيق ذاتها والقيام بأدوارها المتعدده خير قيام فهو قد سمح لها بكل الحقوق فيما عدا أن تمارس دور الأنثي إلا داخل قلعتها أو منزلها مع زوجها. وفي مقابل ذلك غمرها بكل الحقوق كبنت ثم كزوجة ثم كأم. وليس معني هذا أن تتحول إلي رجل خارج منزلها ثم تعود أنثي داخل البيت كلا أنها تتشرف بأن تظل أنثي خارج المنزل وداخله غير أن عليها إلا تمارس دورها كأنثي إلا داخل منزلها. فإذا خرجت عليها أن تخفي هذه الأنوثه قولاً وفعلاً وجسداً وروحاً. وأن تظل وتظهر شخصيتها كإنسانه ومسلمه عليها ما للمسلم ولها ماله ويزداد لها كل مايحفظ لها ويساعدها علي أداء دورها كأنثي داخل منزلها

ويساعدها على أن تظهر ذاتها كإنسان خارج منزلها قبل أن تكون أنثي وأن تظل محتفظه بأنوثتها لذاتها ولمنزلها في نفس الوقت .

وأخيراً تؤكد البحوث خطورة الخلوه والخضوع بالقول وخطورة التبرج ومضار الأختلاط ، حتي لو تبنت المرأه خصائص الرجل ودوره ، ثم الم ينه عنه الدين.

فماذا تنتظري أمور نهانا عنها الدين وأبرز العلم خطورتها؟